ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

انتصارات أيار تشدّ خيوط العنكبوت نحو الخراب الثالث

خضر رسلان

في ٢٥ أيار ٢٠٠٠ ألقى الأمين العام لحزب اللّه السيد حسن نصراللّه خطاب النصر في بنت جبيل، وقال فيه "إنّ "إسرائيل" أوهن من بيت العنكبوت". ومنذ ذلك التاريخ تبدّلت الكثير من المعادلات السياسية والعسكرية، سواء منها في الإقليم او في لبنان. وقد أقرّ العدو الإسرئيلي بعد هزيمته في بنت جبيل التي أراد تأديبها وفشل في عدوان ٢٠٠٦، بالقدرات الهائلة التي باتت تمتلكها المقاومة معترفاً بمدى صعوبة قدرة الردع لديه التي لطالما تغنّى بها في ما مضى من عقود .

مفاهيم ومصطلحات أدخلتها قيادة المقاومة بلسان قائدها لم تكن موجودة في العلوم الحربية ولا في الأكاديميات الاستراتيجية ساهمت في كيّ الوعي لدى العدو وبنيته الاجتماعية التي استطاعت المقاومة عملياً أن ترسّخ لديه حقيقة شعار انّ الجيش الصهيوني قد تمّ قهره ولم يعد كما كان يروّج له بأنّ جيشه لا يُقهر، بل أكثر من ذلك فقد كان للشعار الذي رفعه الأمين العام لحزب اللّه السيد حسن نصراللّه حينما قال: ولى زمن الهزائم، الأثر الأكثر إيلاماً ووقعاً على الكيان "الإسرائيلي" الذي كان يطمح ان تستمرّ صورة هزائم الجيوش العربية راسخة في وجدان وأذهان الشعوب العربية لا سيما الجيل الجديد. وهذا ما جعل معلق الشؤون العسكرية والأمنية في صحيفة "هآرتس" يوسي ميلمان يقول "إنّ حزب اللّه انتصر بالضغط على الوعي الإسرائيلي وأصاب هيئة الأركان بالجنون التي كان هاجسها هو دحض ادّعاء (السيد) نصراللّه بانّ المجتمع الإسرائيلي واهن كبيت العنكبوت.

وأرادت في حرب تموز ٢٠٠٦ أن تثبت العكس عبر احتلال مدينة بنت جبيل، واستعراض النصر يشارك فيه رتل من الدبابات يسير في الشارع الرئيسي بمحاذاة مكان الخطاب، إلا أنّ ضراوة المقاومين بحسب شهادات الضباط والجنود الصهاينة الذين شاركوا في محاولة احتلال بنت جبيل حالت دون وصولهم لمبتغاهم ومغادرة المكان يجرّون خلفهم أذيال الخيبة.

بعد مرور عقدين ونيّف على انتصار ٢٠٠٠ حصلت تغييرات وتحوّلات على مختلف الأصعدة بحيث استطاعت المقاومة ومحورها إعادة تفعيل بوصلة الصراع نحو القدس وفي الوقت الذي ظهر جلياً تشبيك الساحات المقاومة التي تراكم قدراتها عاماً بعد عام، نشهد في المقلب الآخر تآكل بيت العنكبوت الذي بدأ ينخره السوس من داخله كما عبّر عن ذلك الكاتب الإسرائيلي شموئيل روزنر، في مقال له في صحيفة "معاريف" حيث قال "إنّ "إسرائيل" هي الدولة الأقلّ درجة في مستوى ثقة مواطنيها بالمؤسسات الأمنية وأنّ درجة التسامح بين الإسرائيليين تجاه المجموعات السكانية الأخرى معدومة، فهناك توترات داخلية مستمرة على خلفيات إثنية ودينية، وبين العلمانيين والمتدينين، وبين العرب واليهود، فضلاً عن أنّ الإسرائيليين هم شكاكون بطبعهم، ولا يثقون بأحد".

وهنا يمكن إيجاز نقاط تعكس حالة الاهتراء المؤدي الى الخراب الثالث:

١ ـ حالة التشتت الداخلي والصراعات على السلطة والانقسامات الحادة وهذا أمر مخالف للأسس التي عمل عليها عتاة الصهاينة في القرن الماضي في توحيد المجتمع الاسرائيلي حول هدف محدّد يتداخل فيه الديني والقومي ونجحوا من خلاله في إنشاء كيانهم الغاصب.

٢ ـ الهجرة المعاكسة: لم يكن الاندحار من مستوطنات قطاع غزة وبعض مستوطنات الضفة عام ٢٠٠٥ حدثاً عادياً، فإنه في الوقت الذي شكل فيه صدمة لقطاع كبير من المجتمع الصهيوني وخاصة للمستوطنين منهم الذين تملّكهم الخوف حول مستقبلهم الشخصي ومستقبل الاستيطان بشكل عام، فإنه في الوقت عينه شكل صفعة قوية للخطاب الديني بانهيار فكرتي: "إسرائيل الكبرى" و"أرض الميعاد"!.

كلّ المؤشرات تشير انّ الذين يغادرون "إسرائيل" يفوق عددهم عدد الذين يفدون إليها. كما تشير التقديرات الإحصائية الإسرائيلية إلى أنّ مئات الآلاف من المستوطنين ممّن يحملون جواز سفر إسرائيلياً، يقيمون بصورة دائمة في دول متعدّدة حول العالم، ولا يرغبون بالعودة إليها. وأنّ أكثر الإسرائيليين، لديهم نية في التوجه إلى الحصول على جواز سفر أجنبي احتياطي، نتيجة حالة القلق، التي تدور في عقول أذهانهم، وهذا ما يؤكد أنّ شبح الهجرة المعاكسة حاضر في وجدانهم على الدوام.

وتكشف دراسة متخصصة لـ "معهد تراث مناحيم بيغن"، في القدس المحتلة، أنّ أيّ مواجهة عسكرية محتدمة مقبلة مع "إسرائيل" ستجعل المستوطنين الإسرائيليين يغادرونها وينسلخون عنها نهائياً.

٣ ـ هروب الأموال: طابخ السم آكله: أصاب الكيان الاسرائيلي ما دأبت على سلوكه راعيتها الولايات المتحدة الأميركية حينما تريد إسقاط دولة تعاديها باللجوء الى استعمال الأسلحة الاقتصادية القذرة من قبيل تهريب الرساميل الأجنبية وزيادة التضخم والتلاعب بالعملة الوطنية، مؤشرات يتحدّث عنها كبار المستثمرين الأجانب والصهاينة، إلا انّ تغيّر الدور الوظيفي لـ "إسرائيل" وتزايد المخاطر الأمنية الداخلية يجعل هروب الأموال والمستثمرين امراً قابلاً للازدياد في الآتي من الأيام.

متغيّرات بنيوية حقيقية مساعدة في مشروع إسقاط دولة الاحتلال الإسرائيلي وتصدّع الجبهة الداخلية وانعدام الثقة بين مكونات المجتمع الصهيوني الى فقدان دورها الوظيفي في المنطقة نوعاً ما، فضلاً عن بداية أفول وضعف في قدرات راعيها الأميركي، يُضاف الى ذلك كله فشل مشروع التطبيع وبروز تفاهمات إقليمية تعزز من الحالات الرافضة لكيانها الغاصب، وهذا ما زاد من وهن بيتها ولا يبعد ان تشدّ خيوط العنكبوت الخناق عليها مسرعة الطريق نحو الخراب الثالث.

أجواء محمومة في «إسرائيل».. طبول الحرب أم طبول الخوف؟

علي فواز

سلسلة التصريحات النارية الإسرائيلية استدعت توضيحات من جانب دبلوماسيي أوروبا والولايات المتحدة، المعتمَدين في الكيان، في محاولة لفهم دوافع القيادة الإسرائيلية.

رفعت «إسرائيل» لهجة تهديداتها تجاه محور المقاومة بعد يومين على انتهاء المناورة التي نظّمها حزب اللّه جنوبي لبنان. وُصفت المناورة بأنها الأولى من نوعها، وحاكت هجوماً برياً تخلّلته السيطرة على مستوطنات وأسر جنود إسرائيليين. شملت التهديدات الإسرائيلية إيران وسوريا وحزب اللّه. هل تأتي هذه التهديدات على خلفية المناورة والرسائل الكامنة فيها؟ أم أن المناورة استبقت توجهاً وإشارات إسرائيلية إلى محاولة كسر قواعد الاشتباك السائدة، ووجّهت رسالة فهمها الإسرائيلي؟ أم أن المناورة والتهديدات تأتيان في سياق أشمل يتعلق بمتغيّرات سياسية وعسكرية؟

بمعزل عن الجواب، فإن المناورة تشير إلى مجموعة دلالات ثابتة: أولاها الاستعداد الهجومي البري للصعود إلى الجليل؛ ثانيتها أن وحدة الساحات خطة جاهزة للتنفيذ في أي لحظة، وأن القدس ليست شأناً فلسطينياً معزولاً عن المنطقة والعالم؛ ثالثتها القدرة على تحرير مستوطنات.

انفعال غير عادي في «إسرائيل»

يتحدث الأمين العام لحزب اللّه، السيد حسن نصر اللّه، منذ أكثر من عقد عن الاستعداد لتحرير الجليل. المرة الأولى كانت في ١٦ شباط/فبراير ٢٠١١، حينما أكد جاهزية المقاومة لهذا الأمر إذا شنت «الدولة العبرية» حرباً على لبنان. كلامه، الذي جاء حينذاك رداً على طلب وزير الأمن الإسرائيلي السابق، إيهود باراك، إلى جنوده أن يستعدوا لأن حكومتهم قد تطلب إليهم دخول الأراضي اللبنانية مجدداً، تكرّر أكثر من مرة وفي أكثر من صيغة. مع الأعوام تحوّل هذا الأمر إلى واقع فرض نفسه على الاستعدادات الإسرائيلية وخطط الكيان في مواجهة الحرب المقبلة عند جبهتها الشمالية.

التهديدات الإسرائيلية الأخيرة ليست الأولى من نوعها، لكن اللافت فيها أنها جاءت على لسان أكثر من مسؤول سياسي وأمني. صحيح أنها وردت خلال مؤتمر «هرتسليا للدراسات السياسية والاستراتيجية»، الذي يُعقد سنوياً، ودرج أن يكون المتحدثون فيه من كبار قادة الاحتلال، بشأن التحديات والفرص الراهنة والمنظورة، إلّا أن التفاعلات التي جرت بموازاة التهديدات أعطتها بعداً آخر يتباين عن التصريحات المألوفة.

مطلع هذا الأسبوع، ذكرت قناة «كان» الإسرائيلية أنه، على خلفية التهديدات التي أطلقتها القيادة الأمنية الإسرائيلية، تلقّى وزراء الكابينت السياسي - الأمني بلاغاً بشأن اجتماع سيُعقد قريباً من أجل البحث في التوتر في جبهة الشمال. سبق ذلك قيام جيش الاحتلال بإلقاء مناشير في لبنان، في خطوة وصفتها وسائل الإعلام الإسرائيلية بالنادرة.

المناشير، التي وُجّهت بطريقة كاريكاتيرية يوم الثلاثاء الماضي، حملت رسائل تهديدية لعناصر حزب اللّه، دعتهم إلى الابتعاد عن السياج الحدودي قبل أن يتأذوا! تصلح المناشير لإعلانات تحذيرية من وزارة الصحة بشأن مخاطر التدخين، أو لخطر الانزلاق في ردهات الصالات، أكثر مما تصلح لمقاومة غيّرت المعادلات، وقاتلت في ظروف متعدّدة. كُتب في المناشير، التي ألقاها جيش الاحتلال جنوبي لبنان قريباً من منطقة الحدود: «فكّرْ قبل أن تعمل. اختراقك للحدود يعرض الوضع للخطر، وقد يؤدي إلى إصابتك".

الرسالة جاءت بعد ساعات على تصريح غير عادي أتى على لسان رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية «أمان»، أهارون حاليفا. خلال تطرقه إلى عملية مجيدو، التي جرت في آذار/مارس الماضي، حمّل رئيس «أمان» حزبَ اللّه مسؤولية التسلل، الأمر الذي تجنبت أجهزة الكيان الرسمية القيام به حتى تلك اللحظة. التصريح، الأول من نوعه، رافقه تحذير من رئيس «أمان» من أن عملية مجيدو ليست لمرة واحدة، ملمّحاً إلى أنها يمكن أن تتكرر.

يوم الخميس، بالتزامن مع ذكرى عيد المقاومة والتحرير، أعلن جيش الاحتلال أن قواته كشفت مسيّرة عبرت في اتجاه فلسطين قادمة من الأجواء اللبنانية، وتم إسقاطها.

حادثة أخرى وصفها موقع "srugim" الإسرائيلي بأنها استثنائية، جرت قبلها بيوم عند الجبهة السورية، حيث تم إطلاق النار على مسيّرة إسرائيلية على امتداد الشريط الذي يفصل الأراضي المحتلة عن تلك الواقعة تحت سيطرة الدولة السورية.

في اليوم نفسه، تداولت وسائل الإعلام الإسرائيلية ما وصفته بأنه توثيق لمحاولة إطلاق صاروخ في الضفة الغربية. بعض وسائل الإعلام العبرية نقل عن مصادر أمنية بأنها تتعاطى مع الحدث على أنه خطير جداً. تبيّن في النهاية أن الصاروخ أقرب إلى الألعاب النارية، وانفجر بعيد إطلاقه، وبقيت علامة الاستفهام تحوم حول طبيعته، ومن يقف وراءه، وبشأن الرسالة التي تُركت إلى جانبه: «كتيبة العياش - إطلاق صاروخ قسام ١ على مغتصبة شاكيد - الأربعاء ٢٤ أيار/مايو ٢٠٢٣ والقادم أعظم".

الحادثة الأخيرة، على وجه التحديد، وُضعت بشأنها علامات استفهام من منطلق أن تكون مدبَّرة إسرائيلياً، كتبرير لأي عملية مبيّتة تستهدف الضفة الغربية في المدى المنظور.

إلّا أن هيلال بيتون روزن، المراسل العسكري في «القناة الـ١٤»، ذكر أن الصاروخ من جنين يرفع مخاوف مضاعفة، عادّاً إياه تهديداً من نوع جديد من شأنه أن يتطور في شمالي الضفة الغربية، ومن غير المؤكد أن تكون الجبهة الداخلية قادرة على تفعيل الإنذار حالياً.

بخلاف ذلك، وإلى أن تتضح معالم الحادثة، يبقى السؤال بشأن الخلفيات والدوافع للخطاب الإسرائيلي المحموم في الأيام الأخيرة. هل يأتي في سياق استباقي وقائي لأي خطوات ينوي محور المقاومة أن يقوم بها؟ أم أن العكس هو الصحيح؟

تهديدات حزب اللّه

التهديدات الإسرائيلية لم توجَّه فقط إلى حزب اللّه، بل كان الموضوع الإيراني طاغياً في مضمونها، وردّت عليها طهران على طريقتها. سبقت تلك التهديدات، أخرى صادرةٌ عن حزب اللّه بالتزامن مع المناورة العسكرية، التي حملت عنوان «سنعبر» نهار الأحد الماضي، وعنوانها واضح الدلالة.

رئيس المجلس التنفيذي في حزب اللّه، السيد هاشم صفي الدين، حذّر الاحتلال الإسرائيلي، من موقع المناورة، من أنه سيرى فعل الصواريخ الدقيقة «إذا ارتكب حماقة لتجاوز قواعد اللعبة». وأضاف «أننا راقبنا قدراتكم جيداً، وعرفنا عجزكم عن إحداث معادلة جديدة، لهث نتنياهو وراءها، لكنه فشل".

نائب الأمين العام لحزب اللّه، الشيخ نعيم قاسم، أكد، الثلاثاء الماضي، في حديث إلى قناة «المنار»، أنّ حزب اللّه يمتلك قدرات استثنائية يستطيع من خلالها أن يخوض أي معركة تُفرض عليه مع العدو الصهيوني، مشدداً على أن الحزب مع وحدة الساحات، محذراً الإسرائيلي من «أنه لا يستطيع أن يتخطى معادلة الردع». كما شدد على أن المناورة توجه رسالة إلى «إسرائيل»، مفادها أن «المناورة ستكون في أرضك".

ماذا قال الإسرائيليون؟

قال وزير الأمن الإسرائيلي، يوآف غالانت، إن الهدف الرئيس، الذي تستعدّ له «إسرائيل» في المرحلة الراهنة، «هو أكثر تعقيداً وصعوبة وأهمية، ويجب على سلاح الجو أن يكون مستعداً في كل لحظة".

وهدّد بأن كل الخيارات يجب أن تكون على الطاولة، من أجل منع إيران من حيازة سلاح نووي، محذّراً طهران من تبعات زيادة نسبة تخصيب اليورانيوم إلى ٩٠٪.

بنيامين نتنياهو قال، في رسالة إلى إيران: «ليعلم كل أعدائنا، نحن متقدمون عليكم بفارق كبير".

رئيس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي، تساحي هنغبي، قال إن نتنياهو سيحصل على دعم لضرب منشآت إيران النووية إذا استُنفدت كل الوسائل. وأضاف أن تخصيب إيران لليورانيوم بنسبة ٩٠٪ يُعَدّ خطاً أحمر لكل العالم، وأشار إلى أن «إسرائيل» لم تضيّع الوقت، ونجحت في تأخير المشروع النووي الإيراني.

رئيس أركان الجيش الإسرائيلي، هرتسي هليفي، قال: «نحن ننظر إلى إيران عَبْر بُعدين: النووي والتهديد الإقليمي». وأضاف أن الأمين العام لحزب اللّه السيد «نصر اللّه يعتقد أنه يعرف كيف نفكر. إنه يتحدانا عبر وسائل يعتقد أنها لن تؤدي إلى حرب شاملة»، مشيراً إلى «تطورات سلبية محتملة في الأفق يمكن أن تدفع إلى عملية»، محذّراً الرئيس السوري، بشار الأسد، من مغبة التقارب مع إيران.

بدوره، رأى رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية أهارون حاليفا، أن الأمين العام لحزب اللّه «يقترب جداً من ارتكاب خطيئة قد تؤدي إلى حرب كبرى في المنطقة، ويقرّب هذه الخطيئة من لبنان ومن سوريا»، على حد قوله.

حاليفا أشار إلى أن «تصرف نصر اللّه، إلى جانب ثقة الرئيس السوري بشار الأسد العالية بالنفس، قد تخلقان إمكاناً عالياً للتصعيد في المنطقة»، محذّراً من أن «تفعيل القوة من الجبهة الشمالية نحو إسرائيل، سواء من سوريا أو من لبنان، قد يؤدي إلى تصعيد واصطدام كبيرين بين إسرائيل وحزب اللّه في لبنان".

وذكر، في سياق آخر، أن سماح الرئيس السوري بشار الأسد باستخدام أراضيه لإطلاق مسيّرات في اتجاه «إسرائيل» يجعل احتمال نشوب هذه الحرب أكبر، مطالباً بلاده بأن تستعد لذلك.

ما بين السطور

يشي مضمون التهديدات بأن «إسرائيل» في موقع الدفاع لا الهجوم، وأن الكلام عالي النبرة يستبطن انكفاءً، ومحاولة ردع الطرف الآخر عن عدم المساس بقواعد الاشتباك السائدة، وخصوصاً لجهة إيران وحزب اللّه.

تبجّح رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، بعيد زيارته قاعدة للاستخبارات العسكرية، وما تبعها من تصريحات من قادة عسكريين وأمنيين هو، على الأرجح، مجرد تهويل منظّم ومكتوب ومُعَدّ مسبقاً، يقع جزء منه في إطار الحرب النفسية.

هذه الفرضية تنتظم بين مجموعة فرضيات تفسّر السلوك الإسرائيلي. منها أنه يمهّد لعمل أمني ما، ويستبق أي رد فعل من الطرف المقابل، أو يهدف إلى رفع الصوت لإثارة انتباه حلفائه في الولايات المتحدة وأوروبا، وربما هو خوف من إقدام أطراف في محور المقاومة على الارتقاء في قواعد الاشتباك.

أغلبية التهديدات جاءت في إطار شَرطي: «إذا» سمح الأسد للمحور؛ «إذا» تخطى حزب اللّه قواعد الاشتباك؛ «إذا» تمادى الحزب وارتكب «خطيئة»؛ «إذا» اقتربت إيران من نسبة تخصيب ٩٠ في المئة. وهذا، في حد ذاته، مؤشر على الطرف الذي يمتلك المبادرة، وعلى منحنى ميزان الردع.

تسعى «إسرائيل» لأن تحقق بالكلام ما عجزت عنه عبر قوتها العسكرية بعد العملية التي سمّتها «درع وسهم»، حينما اختارت الهجوم على فصيل متواضع في التجهيز والعديد، مقارنة بغيره من الفصائل والمحاور، لإعادة ترميم الردع.

يوحي سياق التهديدات ومضمونها بعقدة نقص يحاول الإسرائيلي تعويضها بكلام عالي النبرة، وهو كلام لا يخصّ المستوى السياسي فقط، وقراءته النابعة من مصلحة شخصية، وإنما يتجاوز ذلك أيضاً إلى الأجهزة العميقة، والتي اتفقت بالإجماع على ضرورة المبادرة إلى الاعتداء على حركة الجهاد الإسلامي، من أجل إحداث تغيير ما.

أساس العقدة هو أنها باتت مكشوفة على إثر المتغيّرات التي تحدث حولها، وبصورة أساسية على خلفية الاهتراء والتآكل الداخليَّين، واللّذين لا شيء يوحي في وجود دواء متوافر لهما حالياً، بل على العكس هما آخذان في الاستفحال في المدى الطويل.

تريد «إسرائيل» أن تقول لأعدائها إن الطلفح الجلدي الظاهر للعيان الذي تعاني منه، ليس نتيجة مرض عُضال وفق ما يشخّص أعداؤها. لكن أزمتها تنبع من أنها عاجزة عن إقناعهم وعن تطويع وعيهم في هذا الإطار، سواء صحّت ادعاءاتها، أو لم تصح.

في الآونة الأخيرة، حدثت مجموعة متغيّرات ذات دلالة استراتيجية، منها الاتفاق السعودي الإيراني برعاية الصين، وعودة سوريا إلى جامعة الدول العربية، وزيارة رئيسي لدمشق، وما تخلّلها من اتفاقات معلنة أو غير معلنة. هذا التحولات معطوفة على تحوّلات دولية لم تتمكن «إسرائيل» من إخفاء قلقها منها وبسببها.

وبالتالي تتخوّف «إسرائيل»، بحسب ما يطفو على السطح، من اقتراب أعدائها في محور المقاومة وتموضعهم في إطار هجوم استراتيجي بعد أن كانوا، طوال العقد الماضي، في إطار الدفاع الاستراتيجي. يُستشف هذا القلق من التحذير الذي وجّهه رئيس الأركان الإسرائيلي ورئيس «أمان» إلى سوريا والرئيس الأسد، بصورة خاصة.

وسط هذه التطورات، تعود الحكومة الإسرائيلية، بعد تمريرها الموازنة في الكنيست، وبعد معركة «تأر الأحرار»، إلى المربع الأول. عاد الروتين من جديد، وانتظمت قواعد اللعبة التي كانت سائدة، وعاد نتنياهو إلى السير وسط حقل مشرّك من الألغام، وعاد الكيان إلى التناقض الأول.

سلسلة التصريحات النارية الإسرائيلية استدعت توضيحات من جانب دبلوماسيي أوروبا والولايات المتحدة، المعتمَدين في الكيان، في محاولة لفهم دوافع القيادة الإسرائيلية. صحيح أنها وردت خلال مؤتمر «هرتسليا للدراسات السياسية والاستراتيجية»، الذي يُعقد سنوياً، ودرج أن يكون المتحدثون فيه من كبار قادة الاحتلال، بشأن التحديات والفرص الراهنة والمنظورة، إلّا أن التفاعلات التي جرت بموازاة التهديدات أعطتها بعداً آخر يتباين عن التصريحات المألوفة.

بسبب هرئيل، إن العاصفة التي ثارت نتيجة التصريحات الإسرائيلية كانت كبيرة جداً، إلى حد أن الناطق باسم جيش الاحتلال اضطر إلى إجراء إحاطة تلفونية للصحافيين من أجل التوضيح أنه صحيح أن الوضع الإقليمي مقلق، لكن التصريحات الأخيرة لا تدل على حرب على الأبواب في لبنان، أو على هجوم إسرائيلي قريب على إيران.

ليس مجرد عيد...الحرب لا تزال مستمرة

ناصر قنديل

– قد يحاول البعض التذاكي في الحديث بمناسبة عيد المقاومة والتحرير بالقول إنه يشاركنا فرحة العيد، لكنه يتحفظ على ما بعده، فقد انتهى دور المقاومة بعد إنجاز التحرير. والحقيقة هي أن لا قيمة للاحتفال بالعيد ما لم تكن المناسبة هي للتفكير والمصارحة والتأمل، لأن الاحتفال على قاعدة إغلاق ملف المقاومة يعني إقفال ملف الصراع مع الاحتلال، وملف الحروب لا يُغلَق من طرف واحد، فإما أن دعاة إغلاق الملف يعتبرون أن المطلوب لاتفاق سلام مع الكيان، وهم يعلمون ان بعض أرضنا لا يزال محتلاً وقد فشلت محاولات استرجاعه بالتفاوض عبر الأمم المتحدة، عند تولي الأمم المتحدة والرئيس السابق فؤاد السنيورة تقديم مبادرة بانسحاب إسرائيلي من مزارع شبعا التي تعترف بأنها محتلة، لكنها لا تعترف بلبنانيّتها، ولذلك تقول المبادرة بتسليم المزارع لقوات اليونيفيل، لحين الانسحاب من الجولان، فيقرّر لبنان وسورية كيفية التعامل معها، أو اعتماد الأمم المتحدة لما وصلها وما يمكن أن يصلها من إثباتات وخرائط لبنانية وسورية تتيح تسليمها للبنان. والبعض يرغب التستر عن أن النتيجة كانت بالرفض المطلق من الجانب الإسرائيلي مدعوماً بموقف أميركي، تأكدت خلفياته لاحقاً مع إعلان الكيان ضمّ الجولان، وإعلان واشنطن تأييد الضم، بما يعنيه ذلك من مصير قاتم لوضع مزارع شبعا التي تم ربط مصيرها بمصير الجولان، ويأتيك من يسأل عن من يعمل بموجب تلازم المسارين اللبناني والسوري؟

– إذا انطلقنا من أن لنا أرضاً محتلة واستبعدنا دعوات سلام مع الكيان لأكثر من مجرد أن لنا أرضاً محتلة، بل لأن لبنان مع الجزء الذي يلتزم من العرب بخيار التطبيع ولا يزال يربط أي خطوة تسوية سياسية بالمبادرة العربية للسلام، خصوصاً ما يتصل بحق العودة للاجئين الفلسطينيين التي تشدد بموقعها من المبادرة في قمة بيروت عام ٢٠٠٢، الرئيس اللبناني المقاوم اميل لحود، لأن اللبنانيين التزموا بإجماع وطني على رفض التوطين وصار مادة في دستورهم، والخيارات محصورة بين التوطين وحق العودة، سوف نصل إلى أن الصراع مستمرّ ونحن جزء عضوي منه، وهذا من جانبنا، فماذا عن جانب العدو؟

– لا نحتاج إلى تحليل لنكتشف أن كيان الاحتلال الذي كسر مهابة جيشه بالانسحاب بلا ثمن من لبنان، لا يزال يربط استعادة مكانته في المنطقة بتأديب لبنان، وحرب تموز ٢٠٠٦ كانت أشدّ تعبير عن ذلك، ولولا أن المقاومة تمسكت بسلاحها وراكمت المزيد من القدرات الحربية، بما تكفل بهزيمة العدو في هذه الحرب، لكانت نتيجة ما بعد الحرب وفق حسابات الكيان العودة لزمن التحكم بالأمن والسياسة في لبنان من بوابة التهديد المستمر بالحرب، خصوصاً أنه تعلم درس الاحتلال، وليس مضطراً للبقاء في الأرض اللبنانية، فيكفيه التفوق الناري وقوة الردع ليحصل على ما يشاء. وهو بالرغم من أنه خرج مهزوماً يجد دائماً بين اللبنانيين من يدعو للتنازل عن حقوق لبنان السيادية تحت شعار تفادي غضب الكيان ومخاطر الحرب معه. وفي الحصيلة ثبت أن قوة الردع التي مثلتها المقاومة هي التي حفظت بعض هذه الحقوق، لأن جيش الاحتلال بات يحسب الحساب للتورط في الحرب، كما قالت مفاوضات ترسيم الحدود البحرية، بلسان المفاوض الأميركي عاموس هوكشتاين، عندما فسّر ما أسماه حصول لبنان على ما يريد، بالقول إن ذلك كان الطريق الوحيد لحرب كان حزب اللّه مستعداً للمخاطرة بخوضها.

– منذ صدور القرار ١٧٠١ وقيادة الكيان التي رفضت تسوية وضع مزارع شبعا وفقاً للحل التفاوضي الذي ورد في نصوص القرار ١٧٠١، ترفض بلوغ مرحلة وقف إطلاق النار، أي إعلان الخروج من حالة الحرب، نحو حالة الهدنة، وترفض وقف انتهاكات المياه والأجواء اللبنانية، بل واستعمالها لأعمال عدوانية مثل الغارات التي يشنها طيرانه على سورية من الأجواء اللبنانية، بينما يتحدث بعض اللبنانيين عن الخروج من حال الحرب، باعتباره ممكناً من طرف واحد، وهم يعلمون علم اليقين العكس تماماً. والمقاومة التي تعرف أن مصائر الأوطان تبنى على الحقائق لا على اللغو الكلامي، تدرك أنها منذ نجحت بتحرير أغلب الجنوب والبقاع الغربي من الاحتلال، صارت مسؤوليتها أكبر، وصار عليها أن تسارع الخطى في مجال بناء القوة بما يتناسب مع مرحلة مختلفة بطبيعتها العسكرية للمخاطر التي يمثلها جيش الاحتلال المتربص بلحظة انقضاض ترد له الاعتبار من المقاومة التي أذلته. والمقاومة تستحق الإكبار على ما أنجزت في غير ميدانها، من بناء قدرات شبه نظامية، في سلاح الصواريخ والطائرات المسيّرة، حتى حققت للبنان الحماية. وهذه المهمة من صلب عناصر تأسيس المقاومة، بل كانت الأساس انطلاقتها يوم قام الإمام السيد موسى الصدر بتشكيل أفواجها الأولى قبل وقوع الاحتلال تحت عنوان الحماية.

– مناورة المقاومة قبل أيام هي محطة إضافية في طريق بناء القوة التي تردع، ورسالة المقاومة هذه المرة أقوى، إن حاولتم اختبار بأس المقاومة، والاعتداء على لبنان تحت أي عنوان، فالردّ لن يكون بالنار فقط، بل بالعبور، والعبور يعني عملياً وضع مصير الكيان على المشرحة، والفوران الإسرائيلي الهستيري بعد المناورة يعني أن الرسالة وقعت على مواجع الكيان، فأصابت منه مقتلا. وكل الكلام المقال خارج النص عن تهديد بالحرب، ليس إلا زبداً يخرج من الأفواه في لحظات الهستيريا، كما يقول أطباء علم النفس وعلم الأعصاب، ولذلك عندما يخاف العدو فلا يجب أن يخاف اللبناني بل ان يشعر بالأمان، ومن يخاف فقط هو من ربط مصيره بمصير الكيان، فيريد الكيان قوياً والمقاومة ضعيفة، لأنه ضمن حلف دولي وإقليمي يشكل الكيان بيضة القبان فيه، فيخشى قوة المقاومة وضعف الكيان، لأنه يخشى على حسابات المصالح الضيقة التي وعده بها أو وعد نفسه بها، إذا انتصر هذا الحلف الذي ربط به مصيره.

– الحرب مستمرّة، والاحتفال بالعيد هو بيعة جديدة للمقاومة، والوقوف معها على ضفاف المنتصرين، ومن يرغب بالوقوف على ضفة الهزيمة فذلك شأنه وحده، لأن لبنان انتصر ولا يزال على ضفاف النصر.